



الملابس والإكسسوار في خدمة الطقوس الشعبية "حفلة زار"

د. أشرف صالح محمد/ مصر

والمساعدات، والمريضة التي تلبسها الروح، وجمهور المشاركين. ولأنَّ لكل سيِّد من الأسياد مطلب يطلبه من المريض، تتحدَّد فيه أدقُّ التفاصيل ومنها أنواع الرقصات، والملابس والتمايم والإكسسوار، والتي يحدِّدها نظير خروجه من جسد المريضة، فضلًا عن ملابس فرق الزار والحبايب والضيوف، فنجد أنَّ ملابس الزار تختلف تبعًا للأدوار المتنوعة التي تمارسها كل مريضة، أي تبعًا لما يتلبَّسها من أسياد. وتبدو مطالب الأسياد عادةً في رؤيا رئيسة الزار "الكوديَّة" بعد أن تأتيها المريضة بشيء من ثيابها، وترتفع مطالب الأسياد كلِّما كانت المريضة أيسر حالًا؛ حيث تكتفي الأسياد بمصاغ من الفضة رخيصة الثمن للمريضة الفقيرة، ومصاغ قليل من الذهب لمتوسطة الحال، أو الكثير من الذهب لمن ترى أنها غنيَّة قادرة على الإنفاق، وكذلك الملابس فهي أيضًا تختلف قيمتها، فمنها ما هو مرتفع الثمن ومنها ما لا يحتاج إلى تكاليف.

بحَث الإنسان منذ بدء الخليقة وقبل بداية التاريخ عن تفسير للظواهر الطبيعيَّة المحيطة به وما ينتابها من تغيير، فجعل لكلِّ موجودٍ طبيعيٍّ روحًا، واعتقد أنَّ هناك أرواحًا خفيَّة تتلبَّسه وتتدخَّل في مصائره، وعلى أثر ذلك امتلكت الشعوب كافة طقوسًا تُعدُّ نظامًا رمزيًّا من الأفعال قائمًا على قوانين راسخة تحتوي على الإيقاع والإشارة والرمز، للتعامل مع الأرواح الغيبيَّة، فاعتبرت حفلات الزار طقوسًا شعائريَّة تؤدَّى في دورات الحياة، وتهدف إلى التطهير من الأرواح، وتقديم الأضاحي استرضاءً للأسياد. ويُطلق اسم الأسياد على الجن أو الكائنات الغيبيَّة التي تلبس النساء، وأحيانًا الرجال، وتصيب أجسامهم ببعض العلل التي لا يمكن علاجها إلا من خلال إقامة حفل أو حفلات زار. ويتميِّز الزار بكثرة أنماطه الرمزيَّة التعبيريَّة المعبرِّ عنها في الحركة والإيقاع والأعاني والأضحية والبخور والأزياء والإكسسوار والأحجبة، والتي ترتبط بالممارسين له من الكوديَّة، والمغنيات،

أما المنشدة في الزار، فهي امرأة مدربة تقوم بإنشاد كل ما يُقال في الزار من أغانٍ تُظهر الأسياد وتعمل الكوديّة على كلماتها. وتميل المنشدات إلى لبس الملابس البيضاء مع استخدام العطور النفاذة والبخور، وتُدلى من أذان المنشدة أفرط كبيرة، وحول رقبتها عقد من الأحجار، وفي أصابعها خواتم كثيرة محفورة بالأحبة والرموز، تربط رأسها بمنديل مطرّز على الجهة اليسرى من جبهتها حجاب خاص. ويطلق على أعضاء فرق الزار اسم "الشغيلة"، وتختلف ملابسهم باختلاف كل فرقة، ويتكون الزار من ثلاث فرق هي: (الصعيدي، والسوداني، وأبو الغيط)، وكان هناك فرقة رابعة تسمى فرقة "الرنجو" إلا أنّها انقرضت.



حفل زار تقليدي عام 1950
تظهر فيه كودية سودانية

ملابس فرقة الزار

شيخة الزار (الكوديّة)، هي رئيسة الزار التي تتجمّع عندها النساء الراغبات في التخلص من الجان، وعادةً ما تكون سوداء اللون من أصل سوداني أو حبشي إلا قليلاً تعلمن هذه المهنة من خلال معايشة الكوديات السود لفترة من الزمن، ثم انفصلن عنهنّ واستقللن بأنفسهنّ. وترتدي الكوديّة طوال مدة الزار الجلبيّة البيضاء الناصعة وعلى رأسها طرحة بيضاء تفوح منها رائحة العطر تنسدل قليلاً على وجهها. يصنع ملابسها ترزيّة متخصصون على الرغم من أنها بسيطة. وترتدي الكثير من المصاغ المنقوش عليه بعض الكتابات غير المفهومة للعامة، وبعض الآيات القرآنيّة ولفظ الجلالة والـ"ما شاء الله"، وأحياناً تكون الكلمات معكوسة، وتجعل من هذه الكتابات "التمائم" وسيلة لاسترضاء الأسياد لإطاعتها وتحقيق مطالبها.

ملابس العروسة (المريضة)

العروسة كلمة تطلق على المريضة التي يُقام لها حفل الزار من أجل علاجها مهما كان عمرها، والتي في الغالب تعاني من مشاكل نفسية مثل غياب الزوج أو عجزه جنسيّاً، أو أن تكون عانساً، أو تعرّضت إلى ضغط أو وهم. وهي المريضة ذاتها التي تعكس وتجسّد الجن ويتحدّث بلسانها. ولها عطور خاصة وملابس عديدة تختلف باختلاف ملوك الجن الذين يُراد استرضائهم، والملابس التي يطلبها الأسياد تكون عند بعضهم دقيقة ومعقّدة بشروط من الجن لا يمكن تجاهلها لإقامة الزار. فتحرص السيدات والشيخات على الالتزام بالملابس ومكملاتها من التمايم في أدق التفاصيل لاعتقادهنّ بأن ارتكاب أدنى خطأ في

عباءة بيضاء اللون مزخرفة ومرسوم على ظهرها جَمَلٍ وراعي، وراء هذا الجمل من الجانبين أهداب زرقاء اللون ونقوش دائرية الشكل. أما الست السفينة فتظهر من أعلى على هيئة امرأة ومن أسفل على شكل سمكة، وتنقش على الحلي بالهيئة نفسها وبجانبيها تُنقش رموز من البحر. ومن أشهر الدقائق دقة (الست الكبيرة)، وهي شخصية من العالم غير المرئي، لها مكانة الأمر لهذا العالم. أما العروس التي تلبسها (الست)، فترتدي ملاءة سوداء ترمز إلى الليل، وتسجد على ملاءة بيضاء ترمز للنهار، أي الكون الذي تصل بين جنباته. وأما "جادو" فهو عبارة عن جن يسكن المراحيض، فملابسه قطعة واحدة عبارة عن روب أو برنس مصنوع من خامة الخيش يغطي الجسم كله من الرأس إلى القدم، ومن إكسسواراته التي يمسكها في يده الجردل والمقشّة.

الطَّرحة

يُعتبر غطاء الرأس من أهم إكسسوارات الملابس التي تحتاج إليه العروسة في الزار عمومًا، فأثناء التفجير توضع العروسة على رأسها طرحة تغطي وجهها بالكامل. والهدف من وضع الطرحة هو مساعدة العروسة على الاندماج والتّركيز بعيدًا عن المدعوين حتى توفّق مع الجن وتتول المراد، كما تستخدم بغرض تأمين العروس من الحسد أو إفساد الزار. ولا يُشترط لون معين للطرحة، وإن كان يفضّل دائمًا اللون الأسود لقدرته على عزل الضوء والإيحاء بالجوّ، وكذلك اللون الأبيض كرمز لطرحة العروس وليلة العرس.



أحذية الرأس تستخدم كتمايم في الزار

الملبس والإكسسوار قد يفسد العلاقة مع الجن ويسبّب للملبوسة الأذى.

وتنقل الملابس والإكسسوارات المستخدمة في الزار معلومات عن شخصية الجن، كما يرتبط لون الملابس وتصميماتها بعمر الجن، وتعبّر عن المركز الاجتماعي والمالي لشخصية الجن. وعلى الكودية تحديد نوع الأسياد ومعرفة طلباتهم، وأن تقدّم الأدوار الخاصة فلكل دور من جلاب أو عباءة أو ملاءة أو معطف وغطاء للرأس وعصا وغير ذلك. مثل: الجن الأحمر، وأسياد الماء، والسلطان الجبلوي، ويارو بك، والست سفينة، وماما، وأبو الغيط، والصعيدي، والعربي، والست الكبيرة، وأم الغلام، والسلطان المغربي، والسلطان النصراني، وكثيرين غير ذلك. فيطلب السلطان ذو الأصل البدوي أو العربي؛

المصاغ

تحمل كل من الكوديّة والعروسة عادةً كمّيّة كبيرة من الحليّ، تبدأ من على هامتهم حتى كاحل وأصابع القدم. هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من التّمائم والمعلّقات المصنوعة من القطع المعدنيّة أو من الصّدَف أو من البلاستيك، التي تُلبس وتُعلّق حول الرّأس وفوق منديل الرّأس. وهي ذات أشكال وتنويعات وكتابات متباينة تصنع في أماكن محدّدة. وتعبّر أنواع هذه الحليّ عن حالة المرأة ومرضاها ومكانتها الاجتماعيّة وحالتها الاقتصاديّة من خلال كمّ ما تحمله من حليّ، كما تختلف بحسب نوع الأسياد ومتطلّباتهم ومن فرقة إلى أخرى.

القلائد والعقود

تُستخدم القلائد والعقود بكثرة في الزار ولا تخلعها العروس (المريضة) أو تتخلّى عنها أحياناً إلّا بعد مرور سبعة أيام من مراسم الزار، فهي تؤدّي وظيفة "الحجاب" إلى جانب كونها وحدات مصاغ أساسيّة. وتُستخدم بغرض إيجاد وسيلة مريحة لحمل بعض العناصر الطبيعيّة أو التّمائم التي يُعتقد بأنّها تحمل في طيّاتها قوى سحرية قادرة على حماية المريضة من أهوال ومعاكسة الأرواح الشريرة، ولاسترضاء الأسياد، كما تهب القوّة وتمنح الصّحة والعافية.

الخلخال

يُعدّ من أبرز التّمائم المُستخدمة في الزار، وهو عبارة عن حلّية تُلبس في الساق وجمعها

خلاخليل، والخلاخليل تلبسها المرأة حول كاحل القدم، وحلقات الأرجل "الحجول"، في الزار لها مواصفات خاصة وشروط في المعتقد الشعبي يجب أن تتوافر ليكون لها الفعاليّة المرجوّة من استخدامها، كأن تكون رفيعة في سمكها وتنتهي برأس كروي دائري (رومانة). وأحياناً قد يتدلّى من الخلخال بعض الجلاجل "أجراس صغيرة" أو البلابل "كرات صغيرة" فتُحدث صوتاً رنّاناً عند الحركة، ويعتقد التّصوّر الشعبي أنّ أصوات الجلاجل والبلابل تعمل على طرد الأسياد. يتّضح الآن أنّ المعارف والمعتقدات تقرض سيادتها على الملابس وما تخفيه في طيّاتها من معانٍ ورموز تحمل وتنقل البركة إلى من يلبسها، فلا تقف الثياب عند حدّ ستر الجسم، فتفصيل الثياب أو لونها المميّز، وزخارفها، وتطريزها كلّ هذا له معانٍ كثيرة عند المجتمع الشعبيّ.



من أعلى لأسفل:
سوار للذراع من أعلى؛
زوج من أساور الزار؛ وخلخال الزار